صورة اليهودي في الرواية العربية المعاصرة
-راوية "الخلان" لأمين الزاوي أنموذجا-

The **image of the <<Jew>> in the contemporary Arabic novel: The novel "El- khillan" by Amine Al -Zawia model**

ط. د. نذير بيبي*

د. زهيرة بارش♣

تاريخ الإرسال: 2021/01/24	تاريخ القبول: 2021/11/18	تاريخ النشر: 2023/05/10

الملخص:

شهدت الرواية العربية المعاصرة تصاعدا لحضور الشخصية اليهودية في متنها السردي، ولقد عرفت هذه المسألة تحولا جذريا في نمط الكتابة، وهذا تحت تأثير تعالي أصوات تدعو لتقبل الآخر والحوار معه، لتجاوز الخلافات الأيديولوجية، غير أن هذه القضية عرفت جدلا واسعا وسط المفكرين والنقاد العرب، بين مرحب بالفكرة ورافض لها، ولقد حضرت شخصية اليهودي في رواية **"الخلان"** للروائي الجزائري **أمين الزاوي** الذي صور حياة اليهود في الجزائر إبان الثورة التحريرية، محاولا إبراز مساهمات بعضهم في نصرة القضية الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي، واتسمت الرواية بالتعاطف مع اليهود، وتحسين صورتهم.

الكلمات المفتاحية: صورة، اليهودي، الأنا، الآخر، الرواية العربية.

Abstract:

The contemporary Arab novel approached a considerable rise in the Jewish character in narrative discourse, which altered the style of Letters writing under the influence of voices that urge the normalizationof conflicts and establish dialogues to settle ideological disagreements. But this action

***جامعة محمد لمين دباغين سطيف2، مخبر السرديات والأنساق الثقافية**

na.bibi@univ-setif2.dz

♣**جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2** z.bareche@univ-setif2.dz

has cleared a lot of controversy in the middle of Arab thinkers and critics, between appendages and adjuvants!

The character <<jew>> appeared in the novel of "El-khillan" by the Algerian author Amin Al -Zawiwho spoke of the Jewish existence in Algeria during the war in relief the contributions of certain Jews in the struggle of the Algerians against French colonialism. This novel is characterized by compassion for Jews and embellishing their image.

Key words:*Image, Jew, the ego, the other, Arabic novel.*

المؤلف المرسل: نذير بيبي na.bibi@univ-setif2.dz

*** *** ***

1. مقدمة:

يسعى الإنسان إلى معرفة ذاته وما يميزها عن غيرها، ولأن الأشياء تعرف بأضدادها فلقد أولى أهمية قصوى لمعرفة الآخر، فبمعرفة الآخر نعرف ذواتنا، ولأن الإنسان العربي يعيش في محيط مضطرب تتداخل فيه الثقافات والأيديولوجيات والمعتقدات، فهو في رحلة بحث دائمة لاكتشاف ذاته، ويتم هذا عبر دراسة صورة الآخر التي تنعكس في الأعمال الأدبية المجسدةلعلاقة الفرد العربي بالآخر، فتساهم في تكوين الذات، كما تأسس للوعي القومي والثقافي المحلي. ولقد شكل وجود اليهود في البلاد العربية حالة استثنائية لدى المبدعين في زمننا المعاصر. ويعد حضورهم في الرواية العربية المعاصرة، أحد أبرز القضايا التي ظهرت في الساحة الأدبية، ولا يمكن للفن الأدبي أن يتجاوزها. ويرجع هذا الحضور إلى كون اليهود يشكلون جزءا من النسيج الاجتماعي والثقافي في المنطقة العربية.

ومن خلال هذه الورقة البحثية نسعى للإجابة عن جملة من الأسئلة أهمها: ما هو واقع اليهود في الرواية العربية؟ وما طبيعة الجدل الذي أثير حول الكتابة عن اليهود؟

وكيف صور أمين الزاوي اليهود في رواية الخلان؟ وللإجابة على هذه الأسئلة بطريقة موضوعية، وبشكل منهجي، اتبعنا خطوات المنهج الوصفي الاستقرائي، الذي يمكن من تتبع صورة اليهود في الرواية العربية، ويساعد على رصد آراء النقاد العرب حول هذه القضية.

2. تحول الرؤية في الكتابة عن اليهود:

تشكلت في المخيال الأدبي العالمي والعربي صورة نمطية عن الإنسان اليهودي، وكانت في عمومها صور سلبية تستند في الغالب على أحداث مستمدة من التاريخ العالمي، فحضر اليهودي المرابي الذي يستغل الوضع المادي للآخرين، كما انتشرت صورة اليهودي الخائن والبخيل، والجبان والديوث والانتهازي، وغيرها من صفات دنيئة بقيت تلحق اليهود على المستويين العربي والعالمي[1]، وما زاد من تنميط لصورة اليهود في الوطن العربي هي الحركة الصهيونية المحتلة والغاصبة للأراضي المقدسة، حين عملت على إثارة عداوة بين اليهود والمسلمين العرب، وبسبب القمع والاضطهاد الذي تمارسه ضد الفلسطينيين العزل.

غير أن مطلع الألفية الجديدة شهد تناميا سريعا لحضور اليهود في الرواية العربية، بشكل مختلف تماما عما كان متداولا في روايات القرن العشرين، وهذا التغير تزامن والتحولات التي مست مختلف جوانب الحياة في العالم عموما، والمنطقة العربية بشكل خاص، ولأن صورة الآخر تتأثر بالعوامل المساهمة في تشكيلها، فلقد عرفت صورة اليهود تحولا كبيرا في الرؤية، وأكد **غنيمي هلال** أنها لا تبق ثابتة على حالها بل "قد تتغير تبعا لتلك العوامل الصورة الأدبية للشعوب إلى ما هو خير من الصورة السابقة أو إلى شر منها"[2] فتحولت صورة اليهود، واتجه الروائيون للكتابة عن اليهود الشرقيين، واتسمت كتاباتهم بنوع من التسامح والتعاطف، متأثرين في ذلك بتعالي أصوات داعية إلى الانفتاح الثقافي، ونبذ التعصب الديني، كما نادت هذه الأصوات بضرورة تجاوز

الخلافات الأيديولوجية وإذابة الفوارق[3] وبالتالي نتج نوع من التحرر لدى المبدعين في التعاطي مع هذه القضية، ويذهب النقاد إلى أن هذا التحول في التعامل مع اليهود أدبيا "ربما يرجع إلى ميل الكاتب العربي، الذي يمثل ضمير الأمة، إلى المهادنة والسلام، وتغليب النظرة الإنسانية الشاملة على النظرة الدينية أو الأيديولوجية، والرغبة في التقاربوالإدماج، بدلا من العنف والصراع"[4]؛ ومنه كان لزاما عليه النظر إلى القضية من زوايا مختلفة، وبعيدا عن الخلفيات التاريخية والسياسية والأيديولوجية، وقد يكون "هذا التحول في صورة اليهود نتيجة طبيعية لبعض دعوات التطبيع الثقافي الذي يهدف إلى إحداث تحولات في التوجهات الفكرية وإدراك حقائق الأشياء، إذ أريد للمنطقة الانتقال من ثقافة المواجهة إلى ثقافة السلام"[5]؛ بمعنى أن التعامل الأدبي الجديد جاء كتمهيد سبق هذه الهرولة إلى التطبيع مع الكيان الصهيوني التي سارعت إليها عدة دول عربية في الآونة الأخيرة، حين أعلنت الشروع في علاقات سياسية واقتصادية مع الكيان الصهيوني، على حساب الشعب الفلسطيني المحتل، والقضية الفلسطينية المقدسة.

ونستطيع أن نضيف لها سبب ذاتي متعلق بالمبدعين أنفسهم، والذين يسعون إلى الشهرة تحت ذريعة النظرة الإنسانية في الكتابة عن الآخر، والتي تفتح لهم أبوابا لترجمة أعمالهم إلى لغات مختلفة، كما تمكنهم من الحصول على جوائز أدبية عربية وعالمية.

ويؤكد باحثون أن هذا التصاعد في شخصية اليهودي، إنما جاء لـ"إدانة هذه الشخصية بإطلاق، ثم التمييز بين شخصية اليهودي الصهيوني واليهودي الإنسان، ثم مجاراة واقع التطبيع السياسي مع إسرائيل، ثم الميل إلى استفزاز القارئ ولفت انتباهه"[6]؛ أي أن المراحل الأولى لظهور اليهودي في الرواية العربية كانت بهدف إدانته وإظهاره في ثوب المتهم، ثم جاءت مرحلة التفريق بين الصهيونية كحركة عدائية وبين اليهودية كمعتقد وانتماء ديني، لتأتي المرحلة المتزامنة والهرولة للتطبيع مع الكيان

الصهيوني، أما الهدف الأدبي من هذه القضية فيتمثل في إثارة استفزاز المتلقي وتحريك عواطفه اتجاه عدو دائم.

3.جدل الكتابة عن اليهود:

انقسم النقاد حول الكتابة عن اليهود في الرواية العربية، بين مرحب بالفكرة، ورافض لها، وكل اتجاه له مبرراته، فظهرت أصوات "تنادي بقبول الآخر والاعتراف به"[7] وحجتهم أن الأعمال الروائية لا تتعامل مع اليهودي الصهيوني، إنما تصور اليهود العرب الذين رفضوا الهجرة إلى إسرائيل واختاروا البقاء في البلاد العربية، وبالتالي "فإن تناولهم في الأدب العربي أمر طبيعي ولا يقل شرعية عن تناول أي أقلية عرقية أو دينية أخرى"[8]، داعين إلى ضرورة التفريق بين اليهود المتعايشين في البلاد العربية وبين الصهاينة المحتلين، وتدعي هذه الأصوات أن لا علاقة لها بمزاعم التطبيع، كونها لم تقم أي علاقة مع الكيان الصهيوني، وكل ما قام به الأديب "أنه كتب رواية عن أقلية دينية تعيش في بلده، بوصفه وطنها الوحيد، وترفض فكرة الهجرة إلى وطن زائف"[9]؛ ومنه صدرت بعض الروايات العربية التي "قدمت الشخصية اليهودية كشخصية إنسانية تبحث عن الطمأنينة ويمكن التعايش معها"[10]، كما يرى أصحاب هذا الموقف أن التعامل بشكل موضوعي مع قضية الآخر تفتح أبوابااللحوار معه، بغية التفاهم وتصحيح سوء الفهم الذي ينتج العداوة والعنف، ولقد طالبوا بـ "أن ندخل في حوار مع النقيض والضد لنا. أدخل معه في حوار للمحافظة على كياني وحقوقي وعلى وجودي، وأدخل معه في حوار لأساعده وهو النقيض للتحرر من عقده ومخاوفه وأوهامه"[11]؛ بمعنى أن الأنا لا يمكن أن تعيش بمعزل عن الآخر، وبالتالي وجب عليها التحاور مع هذا الآخر لتصحيح المفاهيم، ولتقريب وجهات النظر بين الذات والآخر، بغرض العيش في سلام بين الجميع.

غير أن أصواتا مناهضة تعالت في الساحة النقدية العربية، رافضة بصفة مطلقة التعامل بهذا الشكلالجديد مع قضية اليهود في الأعمال الروائية، مبررة موقفها

بخطورة الأدب الذي يلعب على الحالة النفسية للمتلقين ويؤثر على مشاعرهم، وترى هذه الفئة "أن ما يجري من تطبيع في الرواية العربية خطير ويجب تفعيل الوعي ضده، فكل الاتفاقيات مع العدو قابلة للإلغاء كما (يقول وليد أبوبكر) إلا الفعل الثقافي لأنه يحفر في الذاكرة ويتغلغل في العواطف والمشاعر"[12]؛ فلابد من تحسس مدى نضج وعي المتلقين لهذه الأعمال الروائية، ومدى تأثرهم بالمواقف الجديدة التي بدأت تبرز في روايات الأنا والآخر، وما يلفت الانتباه هو محاولة بعض الروائيين العرب تشويه صورة المسلمين والعرب، مقابل التعاطف مع الآخر مهما كانت صفته. إنه اتجاه جديد بدأ يبرز في الرواية العربية المعاصرة ويهدف لنيل رضا الآخر واستحسانه، غير أنه لا ينال رضا الأنا العربية المسلمة، التي لا تقبل أن تشوه صورتها من أجل غايات ذاتية للمبدعين، فالتسامح مع الآخر لا يعني تشويه الذات، وتقديمها بشكل سلبي.

4. صورة اليهودي في راوية الخلان:

4. 1 مضمون الرواية:

تأتي رواية "**الخلان**" لأمين الزاوي كواحدة من الروايات الجزائرية التي استأنست بالتاريخ، لتنقل لنا أحداثا مرتبطة بتاريخ الجزائر زمن الاحتلال الفرنسي، أياما قليلة قبيل اندلاع ثورة نوفمبر التحريرية، و"استلهام النص الروائي المغاربي للتاريخ يعود في الأصل، إلى حتمية الشعور بالانتماء إلى السلف، وفي هذا الصدد كانت الحاجة ماسة للبحث في ثنايا الماضي بغرض التعرف على هوية الذات"[13]، ومنه فاستحضار التاريخ ضروري في الأعمال الأدبية،من أجل التأكيد على وجود ذواتنا. وتسرد لنا الرواية قصة ثلاث أشخاص فرقتهم دياناتهم واجتمعوا على حب الوطن؛ أي جمعتهم قضية إنسانية عادلة تتمثل في الدفاع عن الجزائر وتحريرها من الاحتلال الفرنسي، الذي عرف باضطهاده وجرائمه ضد الشعب الجزائري، حتى ظهرت أصوات مناهضة لفرنسا من داخل الثكنات، وكان "خصوم سياستها غير العادلة يتكاثرون يوما بعد يوم، من

المسلمين واليهود والنصارى"[14]؛ فصاحب الراوية يرى أنرفض الاحتلال لم يكن مقتصرا على الأهالي من المسلمين، ويقر بمحاولة بعض الأقليات المقيمة في الجزائر التنديد بأعمال القمع والاضطهاد التي يقوم بها الفرنسيون ضد العزل.وكشفت لنا الرواية عن القيم الإنسانية المخزنة في كل روح بشرية، وانعكست في علاقة الأصدقاء الثلاثة: أفولاي رشدي مسلم من الأهالي أجبرته الظروف الاجتماعية التي تسببت فيها السياسة الاستعمارية لفرنسا على الالتحاق بصفوف الجيش الفرنسي، لتنشأ بعدها علاقة صداقة مع قائد الثكنة النقيب ليفي النقاوة زمرمان يهودي الديانة، وتسرد الرواية كيف تطورت هذه العلاقة رفقة المسيحي أوغسطين قيران مجند فرنسي يحول إلى هذه الثكنة، ثم يتفق الثلاثة على ضرورة الالتحاق بالمجاهدين والدفاع عن الجزائر ضد الاحتلال الفرنسي، فجسدت سيرة هذه الشخصيات نموذجا لحياة الإنسان الجزائري الذي تتنوع أصوله، وتتعدد ثقافاته.

جاءت الرواية بدعوة صريحة لضرورة التعايش بين الأديان فـ"الجميع متساوين وباحترام، اليهودي والمسيحي والمسلم والشيوعي والليبرالي واللائكيو اللا ديني"[15]، ولقد روج لهذه الفكرة الشاب خوليو ذو الأصول الإسبانية الذي كان يحفظ "مئات الطرائف والنكات الجنسية والاجتماعية والسياسية عن المسلمين واليهود والنصارى"[16]، والمتابع لكيفية سرد الأحداث يكتشف أن صاحب الخلان أراد تجسيد ثقافة الاختلاف، التي ظهرتفي تناوب الشخصيات الثلاثة على سرد الأحداث، كنوع من منح الآخر حقه في تقديم ذاته وإبداء مواقفه، واختيار التوجهات العامة لحياته.

4. 2 اليهود في الرواية:

يحيلنا أمين الزاوي في الرواية إلى تاريخ اليهود المهجرين من الأندلس، وذكر أنهم قدموا إلى هذا البلد "كما جاءت كثير من العائلات الموريسكية المسلمة"[17]، ثم يعود بالتفاصيل إلى أسباب تهجير اليهود من الأندلس، وما تعرضوا له من اضطهاد وقمع

بسبب التمييز العنصري، وأكد أنهم فروا "من الأندلس على إثر المتابعات والتعذيب والتقتيل التي لحقت بيهود قشتالة، من العلماء ورجال الدين والفلاسفة والتجار والحرفيين والفنانين"[18]، ونشير هنا أن اليهود لم يتلقوا من المسلمين الاضطهاد والقمع الذي مورس ضدهم في أنحاء العالم الأخرى، وهذا ما يتضح في موقف السلطان التلمساني الذي وافق على طلب اليهود بالاستقرار بين المسلمين والعيش بسلام، حين طلب كبيرهم السماح للمواطنين"من ملة موسى العيش بأمان داخل أسوار المدينة كسائر سكانها من إخوانهم أبناء إبراهيم من المسلمين"[19]، ولقد قبل السلطان هذا الطلب ومكنهم من الاستقرار في مدينة تلمسان. "وكان أن دخلوا المدينة وشيدوا أول حي خاص بهم هو درب اليهود"[20]، ورغم السماح لهم بالعيش وسط المسلمين إلا أنهم قرروا تأسيس حي خاص باليهود، وهذا يعود لطبيعة اليهود القائمة على الانغلاق والتعالي على الآخرين. وموقف السلطان يعكس مدى قبول المسلمين لمبدأ التعايش مع الآخر المختلف، ويؤكد أن التسامح صفة من صفاتهم، عكس ما تروج له بعض الأصوات، التي تحاول تشويه صورتهم وتتهمهم بالعنصرية والإقصاء.

أبرزت الرواية الدور الذي لعبته جبهة التحرير الوطني أيام الثورة في توحيد الجزائريين للدفاع عن وطنهم دون تفرقة على أساس ديني، ودعوتهم للمشاركة في حرب التحرير من خلال بيانات رسمية، جاء هذا التأكيد على لسان ليفي النقاوة في قوله: "للمرة الثانية قرأت البيان الموجه من قبل جبهة التحرير إلى الحاخام الأكبر ليهود الجزائر...وكأن الخطاب موجه لي أنا بالذات"[21]، وفيه إقرار من قادة الثورة على أن يهود الجزائر جزائريون ويتمتعون بكل الحقوق مثلهم مثل عامة الشعب، وعليهم كل الواجبات اتجاه وطنهم،وهي إشارة إلى أن الأسس الأولى لبناء الجزائر قامت على تجاوز الخلافات العرقية ونبذ التعصب، ولقد وظف الروائي بيان جبهة التحرير الوطني التي تمثل أعلى هيئة سياسية وعسكرية زمن الاحتلال، بغرض تعزيز موقفه اتجاه اليهود.

4. 2. أ. صورة الرجل اليهودي:

عملت الرواية على تبييض صورة اليهود في مختلف محطاتها، من خلال الصفات النبيلة التي لحقت بالشخصيات اليهودية، وأكثر شخصية يهودية حضورا في الرواية هو القائد العسكري ليفي النقاوة زمرمان، الذي رسم بأحلى الصور، وقدم على أنه "عسكري صارم، منضبط، قليل الكلام، لكنه يتذكر بكثير من التفاصيل سنوات بداية مسيرته الاحترافية العسكرية كجندي عريف يكتب التقارير تارة الصحيحة وكثيرا من المرات مزورة للتستر على الفلاحين والمزارعين الفقراء"[22]، وهي صورة تظهره متعاطفا مع الأهالي. وتكشف لنا هذه الصورة إسقاط صفة الذمي عن اليهودي، حين قدمته بصفته قائدا وبدرجة أعلى من الآخرين، وهذا الموقف يشكل تحولا جذريا في حضور الشخصية اليهودية في السرد الروائي العربي.

كما تحضر صورة لليهودي المنبوذ، وتنعكس في إحساس النقيب ليفي النقاوة زمرمان أنه غير مرحب به وسط المجاهدين،بالرغم من التضحيات التي قدمها، ويتجلى ذلك في قوله: "حين عرف بعض الجنود باسمي الحقيقي ليفي، وأنني على ملة موسى بدأوا يتحاشون الأكل معي في صحن مشترك واحد ولا يشربون من الماء الذي أشرب منه"[23]؛ويعني هذا أن الخلفيات التاريخية والأفكار المسبقة تبقى طاغية على الفكر والمعاملات رغم محاولة تصحيحها، "فالصورة من هذا المنطلق تُرسّخ في عقلية أي شعب معلومات عن شعب آخر قد تكون صحيحة أو خاطئة. وتبلورها يخضع إلى عوامل عقلية وعاطفية، موضوعية وذاتية مرتبطة أساسا بأحوال المصور وممزوجة بأيديولوجيته"[24]. ولقد حاول تصحيح سوء الفهم القائم بقوله: "كما في أوساط المسلمين هناك خونة وحركى التزموا جهة المستعمر، ففي أوساط اليهود خونة وحركى وقفوا ضد بلدهم الجزائر ومالوا إلى معسكر الغاصب الخيانة لا علاقة لها بالإيمان، الخيانة هي طغيان الوعي الزائف على سلوك الفرد"[25]، وتحمل هذه الرؤية فكرة مفادها

أن الوطن للجميع، وأنه لا يمكن اعتقال الوطنية لفئة دون أخرى على أساس أيديولوجي، ومن غير المقبول إقامة محاكم تجرم الاختلاف.

حاولت الراوية في كل مرة إبراز مكانة القائد اليهودي في الثكنة، ورسمت له صورة الرجل الذي يحظى "بالاحترام والتقدير من قبل جميع الضباط وضباط الصف والجنود على اختلاف عقائدهم، لكونه ابن البلد أولا"[26]، وجاء وصفه بالهادئ، وهذا ما عبر عنه صديقه أفولاي قائلا: "أما ما يشدني لليفي فهو شخصيته الهادئة"[27].

كما تحضر صورة اليهودي الذي يؤنبه ضميره، في شعور ليفي النقاوة "بإحساس غريب يراوده ويؤرقه ويقلق وجوده، فمن جهة هو الإنسان الأهلي حفيد أبراهام النقاوة والمؤمن والمدافع عن الحرية والعدالة، ومن جهة ثانية هو جزء من الآلة العسكرية التي تحمي نظاما استعماريا استيطانيا قمعيا"[28]؛وهذا يكشفعن تناقضات الأقلية اليهودية في الجزائر، فمن جهة تدعي اندماجها في المجتمع الجزائري، ومن جهة أخرى تقف بجانب الاحتلال ضد أبناء بلدها، وفي الوقت الذي يحاول فيه القائد ليفي النقاوة خلق نوع من المودة بين الأهالي من مسلمين ويهود، فإن سلوك بعض اليهود الذين اختاروا الوقوف بجانب فرنسا ضد الشعب الجزائري كان يقلقه، ولقد "كان حزينا وغاضبا ضد الأهالي من أجداده اليهود الذين انساقوا للعبة الاستعمار وبالتالي ابتعدوا عن ذويهم من الأهالي والمسلمين"[29]؛ وهذا ما أنتجته السياسةالفرنسية القائمة على زرع التفرقة بين أبناء الوطن الواحد.

أبرزت الرواية موقف بعض الأسر اليهودية التي رفضت الاندماج في المجتمع الفرنسي، واختارتالجزائر، ويتجلى هذا الموقف في قوله: "هم أبناء بلدي، هم أهلي، حتى وإن كنا من عقيدتين مختلفتين، فالبلد يجمعنا في الحب والحرب والعمل والبناء"[30]وأكدت أن "الدفاع عن القيم الإنسانية الحرية والمساواة والأخوة"[31] من الصفات التي سعى اليهودي ليفي النقاوة إلى تحقيقها. وهو الذي شارك في معركة ضد

المحتل، وانتشر خبر وفاته"في واحدة من المعارك التي قادها غير بعيدة عن القرية التي ولد فيها"[32]؛ فرغم ما يشاع في الفكر الإنساني العالمي والعربي من صفات دنيئة عن اليهود، إلا أن هذا الموقف يقر بوجود بعض اليهودالبعيدون عن تلك الصورة النمطية التي ارتسمت في الأعمال الأدبية في العقود الماضية.

وتحضر صورة ليهودي آخر هو آبراهم النقاوة الجد الأول لليفي النقاوة الذي وصف بأنه حكيم، وأن له من الذكاء ما لا يملكه أي شخص في المنطقة، حيث كثر الحديث عنه و"عن شخصيته وعن علمه وفطنته وغرابة أمره"[33]؛ حتى نال ود العائلة الحاكمة، واتخذته طبيبا لها، وتوضح لنا هذه الصورة مدى إمكانية الاستفادة من الآخر والتعاون معه، خاصة في المجالات التي يتقدم فيها، والتي يمتلك فيها خبرة أكثر منا.

4. 2. ب. صورة المرأة اليهودية:

لم تختلف صورة المرأة اليهودية في الرواية عن صورة النساء المسلمات والمسيحيات، فرسمت صورل"نساء عاريات شبه عاريات للفرجة، يهوديات ومسلمات وكاثوليكيات"[34]، وفيها عممت بعض الصفات السلبية على اليهوديات وغير اليهوديات،وحضرت صورة المرأة اليهودية المجاهدة، كتأكيد منها أن المشاركة في الثورة لم يكن مقتصرا على الرجال، بل حتى النساء اليهوديات شاركن رفقة صديقاتهن المسلمات فـ"لقد تم احتجاز ثلاث نزيلات، مسلمتان ويهودية، وجدت بغرفهن أسلحة وذخيرة ومناشير تحرض على الثورة والعصيان المدني"[35]، ويتكرر هذا المشهد في مختلف محطات الرواية، ويؤكد صاحبها أن "غالبية نساء دار التسامح من نزيلات الغرف...غالبيتهن يهوديات أو مسلمات، جزائريات ومغربيات وإسبانيات ومالطيات وبرتغاليات، فضاء بلغات متعددة لكنهن يعشن في انسجام مدهش، في احترام عال"[36].

عمل صاحب الخلان على رصد التشابه الموجود بين المسلمين واليهود في كثير من مجالات الحياة، وانعكس هذا التشابه في طريقة إعداد الطعام، فذكر أن النساء

المسلمات كن يحضرن الطعام و"كثيرا ما تساعدهن في ذلك النزيلات من اليهوديات، فالطبخ يكاد يكون متشابها بين أهل الملتين"[37]؛ لأن بعض أنواع الأكل محرمة على اليهود مثلهم مثل المسلمين، و"تختلط وتتقاطع الحياة اليومية بين المسلمين واليهود، يعيشون حياة شبه مشتركة ومتشابهة ومتناسقة"[38]؛ وهي صورة أخرى تجسد مدى التعايش والتسامحالقائم، والبعد عن المشاحنات والتعصب العرقي أو الديني.

غير أن هذا الوصف الذي قدم عن اليهود، لا يمكن أن يغيب عن الذهن انزلاق الرواية في بعض أنساقها إلى عمليات الافتراء على الواقع في سبيل نيل قبول الآخر - اليهودي- ولقد أوضح **غنيمي هلال** في هذا الصدد أن الصورة الأدبية: "قلما تكون صادقة أمينة في تعبيرها عن طبيعة البلد ونفسية ساكنيه. بل كثيرا ما تختلط الحقائق فيها بمزاعم لا أصل لها، أو بتأويلات مبالغ فيها، فتخرج بذلك عن حدود الواقع"[39]، ومنه يمكن القول أن الراوية قد اختلطت بمزاعم لا أصل لها، ودخلت في تأويلات مبالغ فيها، حين حاولت إسقاط بعض الصفات عن اليهود، وعملت على تحسين صورتهم بشكل جعلها تخرج عن حدود الواقع.

في مقابل ذلك عملت الرواية على تشويه صورة المسلم، وجاء في ختامها، أن المسلم أفولاي رشدي أصبح "شخصا آخر تماما، بنظرة ثعلب جائع أو ضائع، بلحية غريبة تصل صدره أو تكاد، تنبعث من جسمه الذي تقوس قليلا رائحة عرق منفرة"[40]، ولقد وصل حد التشويه إلى إلصاق صفة الإرهابي به، فورد على لسان أوغسطين قوله: "سمعت صوت صديقي في النضال يقول: الله أكبر.. الله أكبر.. لا مكان للكفار المسيحين في أرض الإسلام"[41]. يأتي هذا التشويه لصورة المسلم تزامنا والدعاية الغربية التي تعمل على تنميط صورة المسلمين وربطها بكل ما هو إرهابي ودموي.

لا يمكن أن ننكر تواجد اليهود في الجزائر والوطن العربي عموما، كما لا ننف وقوف بعض اليهود مع الثورة الجزائرية، لكن هذا لن ينسينا المواقف السلبية لليهود اتجاه

الشعب الجزائري، خاصة "أن اليهود الجزائريين كانوا أول الحركة لدى فرنسا"[42]، والتاريخ يثبت انحيازهم للجيش الفرنسي زمن الدولة العثمانية.

5.خاتمة:

في ختام هذه الورقة البحثية الموسومة: صورة اليهودي في الرواية العربية المعاصرة رواية "**الخلان**" لأمين الزاوي أنموذجا، والتي تطرقنا فيها لتحولات الرؤية في الكتابة عن اليهود، وتبين أنها جاءت متزامنة مع تعالي أصوات داعية إلى الانفتاح وقبول الآخر، كما حاولنا توضيح الجدل القائم حول الكتابة عن اليهود في الرواية العربية، حيث تباينت الآراء بين مرحب ومساند، وبين رافض ومحذر ، واستعرضنا صورة اليهود في رواية الخلان، ومنها خلصنا إلى النقاط الأتية:

ـ أن رواية "**الخلان**" واحدة من الروايات الجديدة التي استحضرت صورة اليهودي أيام الثورة التحريرية المجيدة، وعمد صاحبها إلى الحفر في بنية الخطاب التاريخي للوقوف على المسكوت عنه، ذلك المنسي المغيب عن التاريخ الرسمي.

ـ صور لنا أمين الزاوي العلاقة الحميمة التي جمعت القائد اليهودي بجنديه المسلم، وفيها خلفية أيديولوجية تقوم على تعزيز النظرة الاستعلائية، في محاولة للرفع من درجة اليهودي مقارنة مع الآخرين، كما حاولت الرواية أن تعكس ضمنيا ضرورة ترسيخ قيم التعايش بين الأنا والآخر المختلف عقديا.

ـ جسدت لنا "**الخلان**" التحول الذي شهدته الرواية العربية المعاصرة في تصوير اليهود، وانتقالها إلى تصوير الإنسان اليهودي المندمج في المجتمعات العربية، كما انساقت الرواية في ختامها إلى الصورة النمطية المشوهة للمسلمين.

ـ عملت راوية **"الخلان"** على تبييض صورة اليهودي، وحاولت تجاوز الصورة النمطية الشائعة عن اليهود، كما حملت دعوة للتغلب على إشكالية الأنا والآخر. وعموما فالرواية

في جوهرها العام حاولت توضيح حقيقة الإنسان، فهو لم يخلق للقتل والنهب إنما خلق للتعايش والتعارف، وتبقى هذه الرواية عمل إبداعي لا يمكن أن نخرجها من إطارها الفني.

*** *** ***

6. الهوامش:

[1] ينظر: عادل الأسطة، اليهود في الرواية العربية: جدل الذات والآخر، الرقمية للنشر، ط1، رام الله-فلسطين، 2012، ص: 9.

[2] غنيمي هلال، الأدب المقارن، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 9، القاهرة، 2008، ص: 333.

[3] ينظر: محمد سيد أحمد متولي، صورة اليهود في الرواية العربية المعاصرة: رؤية سردية مغايرة، مجلة رسالة المشرق، جامعة القاهرة، مركز الدراسات الشرقية، مج 34، عدد 1، ص: 73.

[4] المرجع نفسه، ص: 72.

[5] المرجع نفسه، ص: 73.

[6] غسان إسماعيل عبد الخالق، تصاعد شخصية اليهودي في الراوية العربية: لماذا ومتى وكيف؟، مجلة أفكار، عمان- الأردن، عدد 374، آذار 2020، ص: 7.

[7] أمين دراوشة، صورة اليهودي في الرواية العربية بعد اتفاقيات "السلام"، مجلة أفكار، عمان-الأردن، عدد 374، آذار 2020، ص: 28.

[8] ربيع محمد ربيع، يهود الرواية العربية: أسئلة قلقة، مجلة أفكار، عمان-الأردن، عدد 374، آذار 2020، ص: 10.

[9] المرجع نفسه، ص: 11.

[10] أمين دراوشة، المرجع السابق، ص: 29.

[11] فريدة النقاش، لا أحد يخاف إسرائيل، دار العين، ط 1، القاهرة، 2011، ص: 15.

[12] أمين دراوشة، المرجع السابق، ص: 29.

[13] فتحي بوخالفة، التجربة الروائية المغاربية، دار عالم الكتاب الحديث، ط 1، الأردن، ص: 29.

[14] أمين الزاوي، الخلان، منشورات الاختلاف، ط 1، الجزائر، 2019، ص: 29.

[15] المصدر نفسه، ص: 98.

[16] المصدر نفسه، ص: 100.

[17] المصدر نفسه، ص: 133.

[18] المصدر نفسه، ص: 133.

[19] المصدر نفسه، ص: 136.

[20] المصدر نفسه، ص: 137.

[21] المصدر نفسه، ص: 227.

[22] المصدر نفسه، ص: 120.

[23] المصدر نفسه، ص: 229.

[24] زوليخةياحي، صورة الآخر في قصة من البطل للأديبة زليخة السعودي، مجلة المدونة، البليدة- الجزائر، المجلد 6، العدد 2، جويلية 2019، ص: 306.

[25] أمين الزاوي، المصدر السابق، ص: 230.

[26] المصدر نفسه، ص: 138.

[27] المصدر نفسه، ص: 223.

[28] المصدر نفسه، ص: 139.

[29] المصدر نفسهن ص: 1393.

[30] المصدر نفسه، ص: 206.

[31] المصدر نفسه، ص: 234.

[32] المصدر نفسه، ص: 232.

[33] المصدر نفسه، ص: 135.

[34] المصدر نفسه، ص: 166.

[35] المصدر نفسه، ص: 198.

[36] المصدر نفسه، ص: 173.

[37] المصدر نفسه، ص: 174.

[38] المصدر نفسه، ص: 182.

[39] غنمي هلال، المرجع السابق، ص: 333.

[40] أمين الزاوي، المصدر السابق، ص: 246.

[41] المصدر نفسه، ص: 248.

[42] فوزي سعد الله، يهود الجزائر: هؤلاء المجهولون، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط 2، الجزائر، 2004، ص: 282.